"الصّراحة مش راحة"

كثيرًا، ومن خلال أحاديثنا المتفرّعة في شتّى المواضيع والأماكن والمناسبات، كثيرًا ما نسمع أحدهم يقول بثقة وحزم: "مشكلتي إنّي صريح". نصيحتي لكم ألّا تثقوا بشخص يبدأ حديثه بهذه العبارة الرنّانة، فالشّخص الذي يعتبر الصّراحة مشكلة لا يمكن الوثوق به بتاتًا.

يقول تعالى في كتابه العزيز: "يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولًا سديدًا"، وقوله عزّ وجلّ أيضًا: "وقولوا للنّاس حسنًا" باعتقادي أنّ الإنسان هو نتاج تربيته وبيئته التي نشأ فيها، والأشخاص الذين تأثّر بهم.

لقد كان أبي رحمه الله رجلًا صريحًا، مباشرًا وحادًا في حديثه، يقول الحقيقة مهما كلّفه الأمر ذلك. وقد ورثت أنا أيضًا الصّراحة عن والدي، ولقيت من عنائها في حياتي الشّيء الكثير.

لقد كنت صريحًا طوال حياتي وقد دفعت مقابل ذلك ثمنًا باهظًا، حيث أقصاني أصحاب الوظائف والمراكز، فمن منهم يرغب بشخص يقول لهم بصراحة ماذا يفكّر عنهم وعن أعمالهم، شخص يذكّرهم بتقصيرهم وقلة خبرتهم وعيوبهم. وهذا ما نجده كثيرًا عند المسؤولين والمديرين، حيث يرغبون بأشخاص يطأطئون رؤوسهم لكل أمر يصدرونه. فإذا رفعت رأسك وانتقدت أحدهم، حتى لو كنت محقًا بانتقادك فإنّك تصبح عدوّ الجمهور رقم واحد، وأصبح قطع رأسك حلالًا.

أنا لا أنوء بنفسي عن هذه الفئة من النّاس، من المسؤولين والمديرين، فكلّنا نتاج نفس البيئة ونفس المجتمع، وكما يقول المثل الشّعبي "كلنا قارئين عند نفس الشيخ". أعترف أنني كثيرًا ما سمعت زوجتي تقول لي: "لا أحد يهتم برأيك فيه، احتفظ برأيك لنفسك".

ليس من الأدب أن تجرح مشاعر النّاس وتقول "أنا صريح" هناك فرق كبير بين الصّراحة والوقاحة.

الكثير من النّاس يطالبونك بقول الحقيقة، لكن القليل منهم الذي يقبل منك الصّراحة.

هل نقول ما لا تفعل؟ نعم، صحيح. معظم النّاس يطالبونك بأن تكون صريحًا، وعندما تكون كذلك فإنهم يكرهونك وينعتونك بالغرور والوقاحة، بل أكثر من ذلك. فهم يقصونك ويبتعدون عنك، ويتحاشون التّحدث إليك أو التّعامل معك.

بيناتنا ، تعالوا نتعمق بمعنى كلمة الصراحة او قول الصراحة ، اليس المقصود قول الحق والحقيقة في اغلب الاحيان ، او على الاقل حقيقة ما يفكر به الاخر ؟ هل هناك جدال ان قول الحقيقة واجب ديني واجتماعي واخلاقي من الدرجة الاولى ؟ لماذا لا نجد هذا الصراع او هذه المعضلة في الثقافات الاخرى ونجدها عندنا ؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ الصّدق والصّراحة يجعلانك عرضة للانتقاد.

ما من أحد يمكنه أن يقول أنّ التحدث بلباقة وبطريقة ممتعة أمر سهل. إنّ التّحدث في كثير من الأحيان يبعث على الإستياء الشّديد، فكثيرًا ما لا نقول إطلاقًا الأشياء التي قصدنا قولها، وكثيرًا ما نندم أننا لم نقُل الأشياء التي ينبغي أن نقولها ولم نستطع قولها.

سأل شخص صديقه قائلًا: "كيف استطعت أن تصبح متحدّثًا لبقًا؟"

فأجاب الصّديق: "بالخبرة".

فسأله قائلًا:" حقًا؟ من أين لك بهذه الخبرة؟".

فأجابه الصّديق محتدًّا: "من كوني متحدّثًا سيئًا".

تعلّمنا من آبائنا وأجدادنا أنّ " لسانك حصانك، إن صُنته صانك، وإن خُنته خانك" وعليه فقد فسّر البعض أنّه علينا أن نلتزم الصّمت في كثير من الأحيان.

لكن أليس من الأجدر أن نتّبع الحديث النّبوي الشّريف الذي نصّه: "من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". أليس هذا الحديث حضًّا على ضرورة التغيير والشجب واستنكار الخطأ؟ ألا يُطالبنا الحديث النبويّ، بشكل غير مباشر أن نكون صريحين في أقوالنا من خلال جملة "فإن لم يستطع فبلسانه"؟

للأسف الشّديد صار هذا الحديث النّبوي ،المعروف عند أغلب النّاس ، ذريعة للكثير منهم للتّنصل من تكليفهم الشّرعي والمجتمعي للتّصدّي للمنكر، وعلى رأسها سوء إدارة المؤسسات والفساد في شتّى مجالات الحياة، أغلب النّاس

يقولون في معرض اعتذارهم عن فعل شيء في وجه المنكر: "نحن لا نملك حق التغيير باليد، فهذا من شأن القانون والأجهزة المسؤولة" ويقولون بعدها "إنّ تغيير المنكر باللّسان مُتاح لمن يملك القدرة على الوصول لصانع القرار كي يناصحه، أو لمن يملك مِنبرًا مُعتبرًا للمواجهة والحديث أو الكتابة "ثم يختمون قائلين: إنّما نُنكر بقلوبنا، فهذا ما في وِسعنا".

لا أحد يرغب بسماع الحقيقة، لأنّ الحقيقة مؤلمة في أغلب الأحيان، فنحن نفضّل أن نتجاهل الحقيقة كي لا نواجهها، لأنّ مواجهة الحقيقة أمر مؤلم ويحتاج إلى قوّة شخصيّة وحزم ومعظمنا لا يملكها للأسف الشّديد.

وكما اعتدنا، فلنُنهِ مدونتنا بطُرفة:

يُحكى أنّ السّبع، ملك الوحوش، أدركته الشّيخوخة، فغشِي بصره، وشحَّ نظره. فقَبعَ في عرينه، رهن وساوسه وشجونه، فأقبل الثعلب يزوره وأقعى قرب الباب مُترَحرِحًا غير هيّاب، ومدّ حديثًا، قال:

–قالت الحكماء:" إذا شحّت الأبصار، عليكم بلحم الحمار! إنّه يجلب العافية ويُنير الأعيُن الغاشية، ويشدد الرُكب المُتراخية". وقد عاينت في طريقي إليكم الآن حمارًا سمينًا متعافيًا، يرعى في مكان قريب، فإن راق لكم الأمر رافقتكم إليه فتنعمون بقلبه، ولسانه، ودماغه، وهي خلاصة الخلاصات لإطالة الحياة وتتركون الفضلات لعبدكم الثّعلب، تعويضًا لي عن إخلاصي لكم في أحرج الأوقات.

فلملم السّبع ما تبقّى من عزيمته ونهض ومشى إلى جانب الثّعلب الذي راح يتملّق: "سلامة نظرك سيدي السّبع! انا فداك سيدي السّبع! حيّاك الله وبيّاك يا ملك الوحوش!".

وعندما وصلا إلى حيث كان الحِمار، تبرّع الثّعلب بنصيحة إلى السّبع: "من الحكمة أن تأتيه من الوراء فتأخذه على حين غفلة".

لكنّ الحمار هذه المرّة لم يكُن غافلًا، فتناول السّبع برفسة على صدغه وأُخرى تحت أذنه، فترنّح الأسد وسقط على الأرض مغشيًّا عليه. وعندما بدأ يستعيد أنفاسه، سمع الثّعلب يقول: "صباح الخير يا سيدي الحمار!... لا شُلّت يمينك يا ابن آتان!... أيَّد الله عزّك أيّها الجحش العظيم يا صاحب الصّوت الرخيم، والعقل السّليم، والظّهر القويم، والذّيل الطويل المُستقيم"! فانتفض السّبع، وصاح "وما هذا التبجيل والتفخيم" أجاب الثّعلب: "النّاس مع الواقف إلى أن تنجلي المواقف"!

دمتم بكل خير

أ.أيمن جبارة